PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8):686-701
ISSN: 1553-6939

The impact of education in buiding a human being - a legal study –

Imad Hamaidi[1], Abderrahmane Sanousi[2]

[1,2]Faculty of Islamic Sciences, University of Algiers 1 (Algeria).

The Author's E-mail: imad0491@gmail.com [1], aassanou@gmail.com[2]

Received: 03/2024 Published: 07/2024

Abstract:

This article focuses on an interesting topic that is education and its philosophy in building a human being. Education is an essential need to the survival, construction and development of human generations and thus, the affirmation of authentic principals with moral righteousness. Without any doubt, education has its perfect curriculum and distinguished way to build a person morally, psychologically, and mentally to become a well-balanced citizen who is capable of elevating his society both intellectually and practically. Nations have shown great interest in the educational process with all its factors due to the development of the world today. The need to have a straight life therefore urges people to follow the Islamic religion because of the teachings it provides. This research sheds light on how the right to education, as a human right, to its reality in Algeria after the independence. As well as showing the ways to lift and fix it under the current relapses and challenges.

Keywords: spirituql educqtion, hu;qn construction, islamic education; the educational system.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8):686-701
ISSN: 1553-6939

أثر التربية والتعليم في بناء الإنسان دراسة شرعية وقانونية

الباحث عماد حمايدي[1]، الأستاذ الدكتور عبد الرحمان السنوسي[2]

[2،1]كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 (الجزائر).

الملخص:

ركز هذا المقال على موضوع مثير للشجون ألا وهو التربية والتعليم وفلسفتهما في بناء الانسان فهما ضرورة بشرية لابد منها من أجل بقاء الإنسان وبناء الأجيال وتطورها، وتأكيد القيم الأصيلة وصلاح الأخلاق والنفوس، وللتربية منهجها الكامل وطريقتها المتميزة في بناء الإنسان روحيًا وخلقيًا ونفسيًا وعقليًا ليكون على قدر من التوازن ومواطنًا قادرًا على النهوض بمجتمعه على أساس علمي وعمل مستقيم، وقد برز اهتمام الأمم والشعوب في أنحاء العالم بجميع عناصر ومكونات العملية التربوية التعليمية لحاجتها الملحة إلى التربية السليمة, وازداد هذا الاهتمام مع تطور العالم وتقدمه في شتى المجالات وشعب الحياة, وفي عالمنا المعاصر اطردت الحاجة إلى الدين كضرورة تربوية لتحقيق هذا التوازن المادي والروحي وتنمية الجانب العقلي، حيث لن تستقيم الحياة إلا إذا التزم الإنسان بالدين الإسلامي ولقد نصبت مصادر التلقي تربية إسلامية حقة، كما اشتملت هذه الدراسة على تسليط الضوء لحق التعليم في حقوق الإنسان وواقعه في الجزائر غداة الاستقلال وسبل النهوض به وإصلاحه في ظل هذه الانتكاسات والتحديات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: التربية الروحية، بناء الانسان، التعليم الإسلامي، المنظومة التربوية، أهداف التعليم.

مقدّمة:

التربية كاللجام الذي يرتكز عليه الفارس اذا امتطى حصانه والتعليم بمثابة العنان الذي يوجهه حيث شاء، وهذا نظير لانطلاق أية حضارة إنسانية دينها الإسلام شريعة وعبادة ومعاملة، وقد مر الانسان ذلك المجهول بمراحل متعاقبة من الحضارات الفكرية والمادية كاليونان والاغريق الى عصر النهضة وحصل بينها نوع من التأثير والتأثر بين الجسد والمادة والروح وانفصامها عن بعضها البعض ولد تشوها في الفطرة السوية وسبب في انتكاستها، ونصب الإسلام الحنيف بناءً تربويًّا متكاملًا للبشرية يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ويتسم هذا البناء بخاصية فذة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام وهو نموذجا أمثل للبناء التربوي الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق وتربية نبينا صلى الله عليه وسلم لذلك الجيل الفريد الذي نشر الإسلام في كل الأصقاع ، فالله

سبحانه هو خالق ومبدع الإنسان ومعلمه الأعلى ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شؤونه، وعلى تحقيق التوازن والاعتدال لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية.

وتتمركز الإشكالية الرئيسية لها المقال في ما مفهوم التربية والتعليم في اللغة والاصطلاح وماهي مقومات التربية في جوانب الانسان الثلاث في الشريعة الإسلامية وماهي نظرة الإسلام والقانون الجزائري الى التعليم وما مدى تأثيره في بناء الشخصية؟

واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي وتجلت عن الإشكالية المركزية عدة فرضيات أهمها:

ما علاقة التربية بالتعليم من خلال المصطلح؟ وما نظرة الإسلام اليهما؟ وما واقع التعليم في المنظومة التربوية في الجزائر؟

المبحث الأول: مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح وجوانبها الثلاث في الإسلام:

نتطرق في هذا المبحث إلى تبيان معاني التربية وجوانبها الثلاثة في بناء الانسان المسلم من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف التربية لغة:

يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها الى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة كمايلي:

الفرع الأول: بيان معاني التربية عند اللغويين:

1- الإصلاح: يقال: ربَ الشيء: إذا أصلحه والربيبة: الحاضنة، سميت بذلك لأنها تصلح الشيء، وتقوم به، وتجمعه[1].

2- النماء والزيادة: يقال: ربَ المعروف والصنيعة والنعمة: يربها ربا وربابا وربابة، وربيها: نماها، وزادها، وأتمها، وأصلحها[2].

3_ النشأة والترعرع: قال الأصمعي:" ربوت في بني فلان، أربو: نشأت فيهم، وربيت فلانا أربية تربية"[3].

4_ سياسة الناس وولاية أمرهم: يقال: ربيت القوم: سُستهم، أي: كنت فوقهم، والعرب تقول: لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني.

والتربية أيضا هي اسم مشتق من الرب ويطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم قال تعالى: چالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ چ [4]حقيقتها تربية التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر[5]، ويربي الرجل ولده أي يحفظه ويرعاه.

الفرع الثاني: تعريف التربية اصطلاحا:

في هذا المقام نحاول أن نعرف التربية من الجانب الاصطلاحي لها:

الفرع الأول: تعريفات التربية:

عرفها الاصفهاني: " الرَبُ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالا إلى حد التمام"[6]

وقال البيضاوي: التربية هي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا"[7]

وعلى ضوء هذين التعريفين يمكن القول بأن التربية تتشابه في معناها اللغوي وتعني بناء وتعهد الطفل شيئا فشيئا إلى حد التمام والنضج والكمال في كل جوانبه.

المطلب الثالث: مقومات التربية الجسمية في الإسلام:

اعتنى الإسلام بالجسم عناية فائقة واسس له مقومات عدة نذكر منها:

الفرع الأول: تكريم الله تعالى للإنسان:

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تحدثت في مجموعها عن جسم الانسان وكونه سر الأسرار لتكون خير معين له على أداء رسالته ٹ ڈ چوَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا چ [8]

وعلى ضوء هذا فان الإسلام يهتم بالجسم وقواه اهتماما بالغا، وهذا الاهتمام لا يتأتى من منطلق ذاتي، وانما يأتي لكي يساعد الانسان على أداء رسالته في الحياة، بل جاءت بعض آياته أمرة بالإعداد الجسمي وتقوية البدن قال سبحانه :

چ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمون چ9

الفرع الثاني: التأهيل الجسدي في القرآن الكريم:

ومن المقومات التي تساهم في تربية الجسم وتنميته في مختلف المراحل العمرية للإنسان التغذية الصحية وتعد إحدى نعم الله سبحانه على خلقه كما أنها آية عظيمة من الآيات الكونية التي تشهد على عظيم قدرة الخالق جلا وعلا ٹ ڈ چ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ چ [10] و الغذاء واحد من أهم متطلبات الجسم الأساسية، ويهتم الدين الاسلامي أيضا بنظافة الجسم وطهارته بل أنه رتب عليه حصول الاجر ونيل الثواب من الله تعالى في كذا موضع في النصوص الشرعية، ومما لا يدعو للشك أن صحة الجسم أثمن وأغلى ما يمتلكه الانسان فهي الوسيلة المثلى لتحقيق الاهداف ونيل الغايات والتي تأتي في طليعتها عبادة الله تعالى، وأداء فرائضه[11].

المطلب الرابع: مقومات التربية العقلية في الاسلام:

الفرع الاول: الاسلام وصناعة عقل الانسان:

العقل هبة ربانية للإنسان وملكة انيط به التكليف الالهي بعد الايمان بالله عز وجل، ويظهر هذا في أوضح صورة في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطويل الذي شمل مراتب الدين، لذا فهناك حاجة ماسة لحفظ العقل البشري من وسائل الهلاك والدمار التي تواجهه من خلال وسائل مختلفة، وفي جوانب متعددة، أو تعطله عن مهامه بإشغاله فيما يضره ولا ينفعه، كوسائل اللهو المكثفة، والمخدرات المتنوعة، والبث المباشر الذي تسلل للبيوت، فانشغل الإنسان بالباطل عن الحق، وبالضار عن النافع، وبالمفضول عن الفاضل، مما يجعل المهام الملقاة على كاهل التربية ضخمة المسؤولية، من خلال المسجد والمدرسة والمنزل، والهيئات التربوية الأخرى، وإزاء هذه التحديات التي في صراع مع منابع التربية يتأكد أهمية الوقوف على وسائل حفظ هذا العقل ليؤدي مهامه المطلوبة منه، فضلاً عن الإبداع المأمول وأهم مقوم من مقومات صناعة عقل الانسان المسلم هو تدبر آيات الله القرآنية فيه تنمية للعقل على الخير، كما أن في ذلك حفظاً له من طرق الهلاك والضلال ٹ ڈ چ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا چ [12] فإن المعرضين عن كتاب الله تعالى، لو تدبروا القرآن الكريم لدلهم على كل خير وهداية، ولحذرهم من كل شر، وملئ قلوبهم من الإيمان الصادق ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية [13] فالمقصد القرآني من تربية العقول لا يتحقق إلا بكثرة التأمل في القرآن الكريم والعكوف على تدبر آياته، من غير عائق يعوق حركة التدبر ومسيرته وأن تجد المفاهيم والأفكار أرضية صلبة متمثلة في تذوق وتشبع بثمار العقيدة الاسلامية الصحيحة [14].

المطلب الخامس: مقومات التربية الروحية في الإسلام:

الفرع الأول: الاستقرار النفسي أثر من آثار العقيدة الإسلامية:

من الموارد التي نجدها الا وهي صلة المخلوق بالخالق وتتأتى هذه بمعرفة الله تعالى التي تمر من خلال معرفة النفس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه" [15] ويتلاقى هذا في قوله تعالى چ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ چ [16]

ويتضح أن مصادق الحكمة هي معرفة النفس ومن عرفها فقد أوتي خيرا كثيرا ويقول الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله:" ...إن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظَم الله سبحانه أمره بإضافته إليه إذ ٹ ڈ چ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ چ[17] فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس [18]

ورسم الإسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الانسان من جميع جوانبه، حيث لو طبق تطبيقا سليما لخرج للمجتمع الإسلامي، ذلك الانسان المسلم المتكامل السوي الذي يستطيع أن يحقق هدف الإسلام من التربية الروحية التي تعتبر الطريق الأمثل للتعرف على الله تعالى[19]، لذلك قرر الامام الغزالي رحمه الله في رسالته " أيها الولد":" معنى التربية تشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه"

ويخلص بنا القول بأن الإسلام دين رسم للبشرية تربية بمنهج كامل وطريقة مثلى في بناء الإنسان الصالح روحيًا وخلقيًا ونفسيًا وعقليًا وجسميًا واجتماعيًا ليكون إنسانًا متوازنًا سويًا ومواطنًا قادرًا على النهوض بمجتمعه على أساس علمي وبرهنة واضحة وعمل مستقيم، وفي عالمنا المعاصر اطردت الحاجة إلى الانطلاق من الدين الإسلامي كضرورة تربوية لتحقيق التوازن الفعلي البناء، حيث لا مناص ضربة لازب أن استقامة الانسان في هذه الحياة لا تكتمل الا بشرع الله تعالى وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: مفهوم التعليم في اللغة والاصطلاح وثمرته في الشريعة الإسلامية والقانون الجزائري:

سنحاول تبيان معنى التعليم وأهدافه وأثره في الشرع الحنيف وعند رجال القانون:

المطلب الأول: معنى التعليم في اللغة:

الفرع الأول: التعليم من مصدر علّم يعلّم, يقال: علّمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه, وتعلمت الشيء إذا أخذت علمه, وقيل: هو تنبيه النفس لتصور المعاني بتكرير وتكثير ممن يحصل منه تأثير في النفس[20] ومنه قوله تعالى: چ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ چ[21]

وٹ ڈ چ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا چ [22]

أي العلم الذي يحصل به الرشاد والهداية ومعرفة الحق في القضايا[23]

المطلب الثاني: معنى التعليم اصطلاحا:

الفرع الأول: تعددت الكتلة المصطلحية للتعليم إلى حد بعيد ويمكن ذكر أهم هذه التعريفات فنقول هو: إيصال المعلم العلم والمعرفة إلى أذهان التلاميذ وهو عملية خبرية تؤدي إلى تغير دائم نسبي في سلوك المتعلم بطريقة قويمة. [24]

المطلب الثالث: أهداف وآثار التعليم الاسلامي:

قبل أن نلج إلى بيان الثمرة المرجوة من فلسفة التعليم في الاسلام يجدر بنا تسليط الضوء على فضل العلم والعلماء في القرآن الكريم والسنة النبوية:

الفرع الأول: من القرآن الكريم:

للعلم منزلة عظيمة في الاسلام وكفى به علوا بأنه صفة من صفات الله قال تعالى چ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ چ 25 ومن أبرز الأدلة على بيان شأن العلم وأهله:

1_ ٹ ڈ چ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا چ26

وجه الدلالة من هذه الآية قالوا: وقل يا محمد: رب زدني علما الى ما علمتني، أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم، وهذا دليل على مكانة العلم وفضله، لأنه لو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم. [27]

2_ ٹ ڈ چيَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ چ [28]

وجه الدلالة من هذه الآية أيضا أن الله يرفعهم في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه:" مدح الله العلماء في هذه الآية، وأنه يرفع الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين ءامنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به" [29]

الفرع الثاني: من السنة النبوية:

اقتصرنا في هذه النقطة البحثية إلى بيان العلم الذي ينفع صاحبه والناس معه:

1_ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع" [30] في هذا الحديث الشريف دلالة على أن فضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها، لأن العلم ينفع صاحبه والعباد، والعبادة يختص نفعها بصاحبها، ولان العلم تبقى فائدته وعلمه بعد موته، والعبادة تنقطع عنه. [31]

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه:" اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علما تنفعني به" [32]

2_ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:" تعلموا العلم، فان تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة" [33]

الفرع الثالث: أهداف التعليم الاسلامي وآثاره:

إن التعليم لينوء بالعصبة أولي القوة الروحية لدى أي أمة تهدف منه غايات ومقاصد، لذا يحث الاسلام على التعليم ويركز على التربية على أنه أساس وقاعدة لضمان ترسيخ المفاهيم الصحيحة في نفوس الخلق نحو خالقها، وما تتضمنه تلك المفاهيم من أثر بالغ في ضبط السلوك الذي يضمن تخريج جيل مملوك الفكر والمشاعر لله تعالى ويظن بعض علماء النفس والتربية والاجتماع والمحدثين أن القرآن الكريم لا ينهض بالإنسانية ولا يصلح إلا للترغيب والترهيب والعبادة فقط وأسوق بعض الآراء لبعض المستشرقين المنصفين الذين كتبوا عن الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي، يقول

الأستاذ (فينى) : "إن القرآن ليس كتابا دينيا فقط، بل هو كتاب علم وآداب وسياسة واجتماع حتى أنه يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية".

عنى القرآن الكريم بالسؤال عناية كبيرة، فالسؤال في المنهج التربوي وسيلة من أهم وسائل التعلم، بل هو الأداة التي يتوصل عن طريقها إلى الإلمام بالحقائق والمعلومات التي يرغب المتعلمون في معرفتها، لذلك وجه القرآن إلى الانتفاع بأسلوب السؤال وحثّ عليه ورغّب فيه. وسوف نوضح في هذا المبحث الأهمية التي أولاها القرآن السؤال والمكانة التي تبوأها السؤال في ظل المنهج التربوي القرآني، ولآداب السؤال وضوابطه في القرآن الكريم أهمية للمتعلم، وإذا كان يطلب من المتعلم أن يهتم بالسؤال ويحافظ على آدابه، فإن المعلم مطالب بالأمر ذاته، وذلك لأهمية السؤال وضرورة العناية به لكل من المعلم والمتعلم، وأن آداب السؤال التي يتوجب على المعلم التمسك بها والانطلاق منها تختلف عن تلك الآداب المتعلقة بالمتعلم، وذلك نظراً لاختلاف موقف المعلم والمتعلم من السؤال ولاختلاف الدور الذي يقوم به كل من المعلم والمتعلم في الموقف التعليمي، وبغض النظر عن اختلاف آداب السؤال لدى المعلم عنها لدى المتعلم، إلا أنها تعد في غاية الأهمية والضرورة لنجاح المعلم في مهامه التعليمية والتربوية، ولأهمية هذه الآداب وضرورة تمسك المعلم بها فقد أرشد القرآن الكريم المعلمين إلى طائفة من الآداب والأخلاق ودعاهم إلى التحلي بها والتعامل مع المتعلمين على ضوئها[34].

1_ إدراك قيمة السؤال في التعليم والتعلم:

فالمعلم الذي لا يدرك أهمية السؤال في التعلم والتعليم قد لا يعمد إلى استخدامه كوسيلة من وسائل تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية المنشودة أو لا يعطيه الاهتمام الذي يتناسب مع أهميته ودوره، وإن أهمية السؤال في التعلم والتعليم ومكانته في المنهج التربوي القرآني واضحتان تمام الوضوح، فالسؤال في القرآن هو وسيلة اكتساب العلم ورفع الجهل عن النفس، ولكن وفق منهج سليم وتوجيه سديد، وذلك بأخذ العلم من مصادره الموثوقة، ويتميز السؤال في ضوء المنهج التربوي القرآني بالعديد من المزايا والخصائص التربوية حيث تميز بالشمول والتنوع، والتوجيه إلى القضايا والموضوعات الهامة، كما تميز باهتمامه بالجانب الإيماني الذي هو أهم جوانب الشخصية الإنسانية، كما تميز بتوجيه المتعلم إلى أحسن الطرق وأصدقها في تحصيل العلوم واكتساب المعارف، كما تميز السؤال في القرآن الكريم بتنوع مصادره وأسلوبه الفذ في التعامل مع السائلين على اختلاف معتقداتهم ودوافعهم وأغراضهم[35]. وفيما يلي تفصيل لتلك الخصائص والمميزات:

2_ الشمول والتنوع:

عالجت الأسئلة القرآنية جوانب متعددة من حياة مجتمع الصدر الأول، فقد شملت:

أ – الأمور الخاصة بالغيب ومسائل الايمان.

ب_ أموراً خاصة بالجانب المالي، كالسؤال عن أوجه الإنفاق.
ج_ أموراً خاصة بالحرب والقتال، كالسؤال عن الظروف الزمنية للقتال.

وقد أوصى الذين لهم قدم صدق في مجال التربية والتعليم بضرورة العناية بالسؤال والاستفادة منه في كافة أنشطة الدرس وخطواته وعناصره، كما يوصون بالعناية بالإجابات وأن تتوفر فيها بعض الشروط والضوابط لتؤدي الغرض المطلوب منها وتحقق الأهداف المعلقة عليها، ومن الشروط والضوابط التي ينبغي أن تتوفر في الإجابات من حسن الصياغة والوضوح، وأن تكون على قدر السؤال، وأن تبتعد عن الإساءة إلى المتعلمين والاستهزاء بهم، وأن يتوخى منها النفع والفائدة، وقد شملت إجابات الأسئلة في القرآن الكريم هذه الخصائص وغيرها كما تميزت بخصائص أخرى تدل على تفوق المنهج التربوي القرآني واحتفاظه بهذا التفوق مهما تقدم الإنسان في علومه ونشاطاته التعليمية والتربوية[36].

3_ الاتصال بالواقع.

قد استمدت الإجابات القرآنية من واقع السائلين ومما يدور ويجري في حياتهم فإذا سأل الناس عن الخمر والميسر تكون الإجابة بالتوجيه إلى الرجوع إلى الواقع، والنظر إلى ما تحدثه الخمر وما يؤدي إليه الميسر في واقع حياتهم ٹ ٹ ﭽ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﭼ[37]

4_ التدرج في التعليم:

يرى ابن خلدون رحمه الله أن التعليم يكون نافعا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا وكثيرًا ما يتكلَّم عن التعليم وحده وتارة يتكلَّم عن تعليم الصنائع، أو تعليم العلوم، أو تعليم اللغة، من غير أن يذكر التربية، ومع هذا فإنه يتطرَّق في بعض الأحيان إلى مسائل التربية أيضًا، وإن لم يسمِّها باسم خاص، فإنه يقول مثلًا في فصل «الرحلة في طلب العلم»: «إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارةً علمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارةً محاكاةً وتلقينًا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات من المباشرة والتلقين أشد استحكامًا وأقوى رسوخًا»، ويشرح ابن خلدون رأيه هذا في موضع آخر بوضوح أكبر، إذ يقول في الفصل الذي يقرّر: "أن التعليم للعلم من جملة الصنائع" فيقولّ:" كل صناعة مرتَّبة يرجع منها إلى النفس أثر يكسبها عقلًا جديدًا، تستعد به لقَبول صناعة أخرى، ويتهيَّأ بها العقل بسرعة الإدراك للمعارف وإن ما يظهر على أهل الحضر من آثار الذكاء والكمال في العقل وإنما هو من رونق الصنائع والتعليم، فإن لها آثارًا ترجع إلى النفس"[38]

وقد قرر المنهج النبوي هذه الطريقة في التعليم خيرا منه فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن فتيان حَزاوِرة ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً"[39]

إن أهم سمة للعلم الصحيح هو أن يجعل صاحبه أكثر خشية لله تعالى كما يساعده على معرفة الحق والاهتداء إلى الطريق المستقيم ٹ ٹ چ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ چ[40]

5_ الرفق في التعليم:

يعد الرفق من الأصول المهمة في التعليم والتربية، ومما يباركه الله تعالى ويحبه، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه"[41].

وتزاد أهمية هذا الأسلوب الرقيق الرفيع، لدى ضعاف العقول، كالصغار الذين يحملون في حناياهم أحاسيس مرهفة، وشخصيات لمَّاحة، أو لدى غلاظ الطباع الذين لم يتأدبوا بعلم، أو تحضر، أو مجالسة، كأهل البادية ونحوهم، مما يحمِّل المدرس عبئاً كبيراً ومسؤولية زائدة، يحتسب أجرها عند الله تعالى، ويعتبر التواضع وخفض الجناح للمتعلِّم من أعظم صور الرفق به، لما يولده في نفسه من امتزاج العلم والأدب في هذه المظهرية العالية، فيدنو له علم أستاذه، وتنشأ بينهما علاقة دافئة، توصل له هذا العلم.

ولما كان التعليم الديني هو الأساس في تربية الناشئين تربية سلوكية صحيحة وهذا المبدأ يقتضى:

أ- توزيع المناهج الدراسية مشتملة على هذه الألوان الثلاثة من كل صنف حتى يربى الشباب تربية روحية متكاملة.

ب- إن كثيرا من الأحداث العامة والمواقف الجدية التي تتعلق بأذهان الشباب مجال طيف لإثارة العاطفة الدينية في نفوسهم، وهذا يدعونا إلى أن نربط دائما بين موضوع الدرس والحياة، بتفسير مشكلاتها وتلمس الحلول لها في ضوء التعاليم الدينية وهذا يتطلب إعداد المدرس المختص.

ج- الموضوعات المقررة في المناهج ليست إلا نقط ارتكاز وللمدرس أن يسير منها إلى آفاق بحيدة ترتبط بالتعاليم الدينية[42].

المطلب الرابع: حق التعليم في ظل حقوق الانسان والقانون التوجيهي للتربية الوطنية:

لا معنى للحديث عن حقوق الانسان دون الحديث عن الحق في التعليم ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن حق الانسان في التعليم يتقدم حتى على الحق في الحياة فلا قيمة للحق في الحياة دون التعليم وربما كان الحديث عن حق الانسان في التعليم أولى بالحديث من الحقوق الأخرى بعد انتشار الجهل والتجهيل في العالم ولا سيما في افريقيا بشكل كبير

كجزء من السياسة الاستعمارية أو نتيجة لعدم اهتمام الدولة أو قدرته على توفير التعليم لمواطنيه[43].

ونصت الفقرة الأولى من المادة 26 من الإعلان العالمي لحقوق الانسان:" لكل شخص الحق في التعليم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والاساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي الزاميا وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة"[44]

لم تقتصر نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على تبيان المبادئ الأساسية للحق في التعليم وأقسامه وأطواره، بل نهضت لتبيان الأهداف المرجوة منه بحيث يتعين أن يهدف إلى تنمية قدرات الشخصية الإنسانية للمتعلم ويحقق حرياته الأساسية وسائر حقوقه الأخرى ويعزز القيم الإنسانية بين الشعوب ويعمل على تحقيق السالم في العالم، كما أيدت أحقية الآباء في اختيار نوعية تعليم أطفالهم إذ نص الإعلان على أنه:" سوف يوجه التعليم إلى التنمية الكاملة للشخصية الإنسانية والدعم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وسوف يعزز التفاهم والتسامح والصداقة بين كل الأمم وكل العناصر العرقية أو المجموعات الدينية وسيدعم أنشطة الأمم المتحدة من أجل صيانة السالم؛ للأبوين حق أولوي في اختيار نوع التعليم الذي سوف يعطى لأطفالهم" [45].

ما يلاحظ من خلال هذا السند القانوني أنه لم يهتم فقط بالجوانب التعليمية التي يكتسب بها الشخص قدراته ومعارفه، بل راعى قبل ذلك الجوانب التربوية التي يكتسب بها الشخص قدراته الشخصية والإنسانية وتوفر له القيم الأخلاقية التي تؤهله لكي يكون شخصا صالحا للمجتمع ومسؤولا عن تصرفاته باعتبارها تحمل الأولوية التحصيل على حساب تعليمه المعارف والعلوم الأخرى، حيث بينت النصوص التشريعية الأهداف التربوية التي تسعى المنظومة التربوية لتحصيلها ممثلة في ترسيخ قيم المواطنة وأسس الوحدة الوطنية وتكريس مبادئ الهوية الوطنية والعربية والأمازيغية والقيم السامية بأبعادها الأخلاقية والحضارية وغرس مبادئ ثورة نوفمبر 1954م في نفوس الأجيال وزرع الوعي الفكري والثقافي عن طريق تكريس حس الانتماء لهذا الوطن الغالي[46].

إن سياسة التعليم في بلاد المسلمين اليوم تحتاج إلى مراجعة وتغيير شاملين، كي تحقق الغاية النبيلة من التعلم والتعليم، فيجب أن تسير سيرا حثيثا تستمد مبادئها من مبادئ الإسلام وترسى أسسها على قواعده المتينة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كان القائمون على شؤون التعليم من ذوى الخبرة الطويلة والفهم العميق الواعي لأصول التربية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد يتطرق إلى أذهان البعض أن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يصلحان إلا للوعظ والإرشاد وشؤون الآخرة فقط، أما أصول التربية الحديثة المتصلة بسياسة التعليم فهما بعيدان عنها كل البعد في أعينهم

التي تبصر ولا تنظر، وهذا بلا شك خطأ ظاهر في الفهم وقصور في الإدراك لأن الله رب العالمين مربى الخلق وأعلم بنفوسهم وضع للإنسان ما فيه صلاحه في دنياه وآخرته، ومهد له السبل ووضع له من الوسائل ما يساعده على تقوية إدراكه واتساع دائرة معارفه[47].

المطلب الخامس: واقع التعليم في الجزائر غداة الاستقلال:

واجهت الجزائر مشاكل عديدة من وطأة الاستعمار البغيض كالتخلف الاجتماعي، الجهل، الأمية... ومرت المنظومة التربوية بعد الاستقلال بأربع محطات هامة رئيسية:

1_ **مرحلة التأسيس واستعادة الهوية**: من 1962م الى 1970م حيث نصبت أول لجنة وطنية لإصلاح التعليم، ثم المرحلة التي تأسست فيها المنظومة التربوية، وكان من أولوياتها تعريب التعليم وجزأرته، من سنة 1979 الى 1980م.

2_ مرحلة إصلاحات الجانب الهيكلي للمنظومة التربوية، واستكمال مسيرة التعريب وجزأرة التعليم من سنة 1980 إلى 2000م، وفيها تم تنصيب لجنة إصلاح للتعليم الأساسي؛ وبعدها برزت مرحلة الانفتاح والخصخصة من سنة 2000م الى م2012 وفيها تم تنصيب لجنة إصلاح التعليم كله، ومن أهم مظاهر الإصلاحات، إدراج اللغة الفرنسية من السنة الثانية ابتدائي ومادة التربية العلمية والتكنولوجيا منذ السنة الأولى ابتدائي، والتكفل بالبعد الأمازيغي، كما عرفت هذه المرحلة تجسيد بعض الإصلاحات والتغييرات والتعديلات الهامة للمناهج والمقررات، وفتح الباب للخواص للاستثمار في جانب التعليم وإصلاحات المنظومة التربوية هذه أثارت جدال حادا منذ أن اختير ابن زاغو رئيسا للجنة إصلاح المنظومة التربوية، وتطبيق توصياته دون مروره عبر المؤسسات الدستورية، ودون مناقشته في البرلمان من طرف نواب الشعب، وقد اتهم أعضاء من لجنة إصلاح المنظومة التربوية، وعلى رأسها ابن زاغو المدرسة الجزائرية بأنها مصدر تخريج الإرهابيين، لأن مناهجها كتبت باللغة العربية وأنها ذات طابع ديني، بينما الفرنسية في نظرهم هي مصدر الحداثة والتنوير والتقدم العلمي والتطور التقني، فكان أن فتح تقرير ابن زاغو الباب واسعا أمام إعادة فرنسة المدرسة الجزائرية، بعد أن تم تعريب كل مراحلها منذ الاستقلال عام 1962م [48]

ورغم الجهود المبذولة والامكانيات المستثمرة، لإنجاح التعليم في الجزائر، إلا أن واقع التعليم في الجزائر يمكن اختزاله بقول كلمة "مزر" ومن أهم العقبات في منظومتنا التربوية مايلي:

_ تهميش التعليم الديني في النظام المدرسي، بل طلب بإلغائه ولان المشكلة الأساسية التي يعاني منها البعض هي أنهم لا يشجعون الاهتمام بالبعد الحضاري الإسلامي النابع من المدرسة والادهى انهم يحاولون إزاحة مواد تعليمية أساسية في تكوين شخصية التلميذ كالتاريخ والتربية الإسلامية واللغة العربية.

_ سلسلة الأخطاء في المنظومة التعليمية والمنتشرة في الكتب المدرسية والتي مست شأن الدين الإسلامي مما أثار سخطا وجدلا واسعين.
_ الاعتماد الخاطئ لمنهجية المقاربة بالكفاءات فهي نتاج غربي فرانكفوني وفي واقعنا هو علاج لمرض غير موجود عندنا.
_ اكتظاظ الأقسام وكثافة الحجم الساعي الدراسي.
_ رداءة البرامج والمناهج التعليمية في مختلف الاطوار.
_ إشكالية التأطير والأجور والحماية[49]

وخلاصة الكلام أنه من الواجب أن نرفع عقيرتنا بواقع التعليم والتربية في بلادنا إن كنا نسمع أو نعقل، وإنه على شفا جرف هار في ظل تغيرات العولمة المتوحشة المتسارعة، ومجتمعنا كباقي المجتمعات تحكمه مجموعة من النظم السياسية والاقتصادية وتتعرض العلاقات الاجتماعية للانفصام، ولعل من أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في التنمية والتطور: معدلات النمو السكاني، وبنية الأسرة وأدوارها ونوعية القيم الاجتماعية السائدة، وإذا فقدنا الحماسة في التعليم يصبح مجرد حشوا وتلقينا للمعارف والعلوم ولم يكن هكذا أسلافنا.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة فموضوع التربية والتعليم مثير للشجون فهما متوازنان وقابلتان للتطوير وتكاد التربية اليوم تكون فناً أكثر من أن تكون علماً بحتاً تهتم أكثر بصناعة الانسان فكريا وروحيا وجسديا على النحو المراد، واذا أمعنا النظر في تاريخ التربية والتعليم منذ فجر الاسلام الى العصور المتأخرة، نجد طريقا رشيدا سلكه المسلمون العرب في تربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة صالحة حرة في التفكير والاقوال التي لا تصدر إلا بعد تفكير وروية، وكانوا لا يحشرون العلم في أذهانهم حشرا بل كانوا يحرصون على تنمية ملكاتهم باتباع سنة الكون وعامل الزمن، وحضارة الغرب في حركتها العلمية استندت على البحث عن المعنى لتحقق الغلبة والقوة والرفاه، أما أمة الاسلام تسعى إلى امتلاك أطرافا منه دون أن تنسى الهدف الأسمى من هذه الحياة وهو رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية والوجدانية والاجتماعية وتوجيهها نحو الصلاح والخير والوصول بها إلى الكمال وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى ويجب كذلك تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته تربية إسلامية تقوم على حرية الفكر واكتمال الشخصية الإنسانية؛ لأن كمال العقل واستقامة التفكير، أساس في صحة العقيدة ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع، ومعرفة الباطل الذي يجب أن يجتنب، وأوصي الباحثين من بعدي أن ينصب اهتمامهم بمثل هذه المواضيع لأنها إنسانية النزعة فضلا من كونها إسلامية سمحة.

أهم المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
1- ابن منظور، لسان العرب، ج1/404_405.
2- ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/ 473،
3- ابن منظور، لسان العرب ج14، ص 308، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1276.
4- سورة الفاتحة: 2.
5- انظر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، دار التوفيق المصرية، 2010م، ص15.
6- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القران، ص: 336.
7- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج1،ص 28.
8- سورة الاسراء 70.
9- سورة الانفال: 60.
10- سورة الانعام: 99.
11- انظر: خالد بن حامد الحازمي، التربية الابداعية في منظور التربية الاسلامية، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، 1422ه/2002م، ج1 ص:466.
12- سورة محمد:24.
13- المرجع نفسه، التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، ص: 483.
14- مجلة الهند، المجلد 6، منهج القران الكريم في تربية العقول، "قراءة في كتاب حجج القران للفراهي"، محي الدين غازي، ديسمبر 2017، ص:506.
15- محمد الريشهري، موسوعة معارف الكتاب والسنة، ج3، ص: 337، بدون ط، س.
16- سورة البقرة: 269.
17- محمد الريشهري، موسوعة معارف الكتاب والسنة، ج3، ص: 337، بدون ط، س.
18- سورة الحجر: 28.
19- الغزالي، أبي حامد، احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج3، ص: 53.

20- ينظر: معجم مقاييس اللغة, ابن فارس, مادة (علم) 181/4؛ ولسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ت: 111 ه، دار صادر/ بيروت, الطبعة الثالثة, 1414هـ, مادة علم 411/12؛ وتاج العروس من جواهر القاموس, الزبيدي, مادة علم (128/33)؛ والمعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار, مادة علم 124/2؛ والتوقيف على مهمات التعاريف, عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي ت: 1831ه, عالم الكتب/ القاهرة, الطبعة الأولى: 1418هـ, ص: 182.

21- سورة المائدة: 4.

22- سورة الكهف:66.

23- انظر: عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق: مصطفى شتات، المكتبة التوفيقية، مصر، 2010م ص: 516.

24- ينظر: التوجيه في تعليم اللغة العربية، محمد علي السمان, دار المعارف/ القاهرة, 1318ه , ص.: 12.

25- سورة يس: 71.

26- سورة طه:114.

27- ينظر: جامع البيان عن تأويل معاني القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير الطربي، تحقيق: د. عبد الله ابن عبد المحسن التركي, دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان, الطبعة الأولى, 1422ه، 2001م ج16 ص: 181.

28- سورة المجادلة: 11.

29- الجامع لأحكام القرآن, القرطبي, ج17، ص:92.

30- أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب الزهد, ما قالوا في البكاء من خشية الله ج19، ص473.برقم: 36750.

31- ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور والية العلم والإرادة, محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية – بيروت، بدون الطبعة والتاريخ، ج1، ص:120.

32- أخرجه النسائي في "الكبرى" كتاب الاستعاذة من علم لا ينفع ج2، ص:205.

33- مجموع الفتاوي، النووي، ج1، ص:19.

34- عبد الفتاح عشماوي، التعليم في بلاد المسلمين، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ط1، ج1، ص: 15.
35- السؤال في القران الكريم وأثرها في التربية والتعليم، احمد بن عبد الفتاح ضليمي، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ط،33 1421ه/2001م ج1 ص249.
36- المرجع نفسه، ص: 21.
37- سورة البقرة: 219.
38- ساطع الحصري دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2018م، ص: 541،434.
39- رواه ابن ماجة وصححه ناصر الدين الالباني رحمه الله، ج1، ص: 38،37.
40- سورة سبأ: 6.
41- رواه البخاري في الادب من صحيحه، باب الرفق في الامر كله، ج10، ص: 449.
42- عبد الفتاح عشماوي، المرجع السابق، ص: 23.
43- ينظر: علي يوسف شكري، حقوق الانسان في ظل العولمة، دار أسامة، عمان، الأردن، ط1، 2006م ص:153.
44- علي عبد الرزاق الزبيدي، حقوق الانسان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م ص:98.
45- سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر الواقع والأفاق، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المجلد9، العدد:2، 2020م، ص:121، 125.
46- انظر: المادة 12 من القانون رقم 08_04 يتضمن القانون التوجيهي للتربية الوطنية.
47- التربية الإسلامية أصولها منهجها معلمها، عاطف السيد، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ج1 ص5.
48- رزهوني الطاهر:" التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال"، الجزائر، المؤسسة للفنون المطبعية، 1994م، ص: 14_141.
49- انظر: سعد عبد السلام، المرجع السابق، ص: 123.